جسر وادي بانجيشر

محمود سالم

جسر وادي بانجشير

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جسر وادي بانجشير

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٧٤٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
وتحققت أمنية «فهد»؟	١١
رحلة شاقة بين الرصاص!	١٧
أسرع معركة للشياطين!	٢٣
صراع ... مع الذئاب!	٢٩
فجأة ... حدث ما لم يفكروا فيه!	٣٥
وكادت المغامرة تفشل!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

وتحققت أمنية «فهد»؟

كانت الساعة تدق السابعة صباحًا، عندما كان «أحمد» يتصفح جرائد الصباح، كان اليوم هو يوم راحة بالنسبة للشياطين، فقد عادوا بالأمس فقط من مغامرة، وقد حاول «أحمد» ألا يغادر الفراش، قال في نفسه عندما فتح عينَيه: إن اليوم راحة ولا بأس من البقاء في الفراش لبعض الوقت.

لكنه لم يستطع، غادر فراشه ... وأجرى تمارين الصباح اليومية، ثم تناول إفطاره، وبدأ يمسك صحف الصباح، قال لنفسه، وقد توقفت عيناه عند تحقيقٍ عن الفضاء: يبدو أن الشياطين لا يعرفون الراحة، ولا يستطيعون الاستمتاع بها، إن راحتهم الحقيقية في مغامرةٍ جديدة.

فجأة أعطى التليفون إشارةً حمراء، فعرف أن أحد الشياطين على الطرف الآخر، رفع سماعة التليفون فجاءه صوت «عثمان» يقول: هل ستبقى في الفراش طويلًا؟

رد «أحمد»: لقد غادرتُ فراشي منذ ساعة وأقرأ الآن صحف الصباح!

قال «عثمان»: لقد فعلت نفس الشيء، لكن يبدو أن بقية الشياطين يستمتعون اليوم بالبقاء في الفراش!

فجأة، جاءهما صوت «إلهام» يشترك في الحديث: أظن أن الشياطين لا يستطيعون تغيير عاداتهم، وأظنهم جميعًا يفعلون نفس الشيء الآن!

ابتسم «أحمد» وقال: هذا صحيح يا عزيزتي «إلهام» إننا فعلًا في حاجة إلى مغامرةٍ جديدة، فنحن لن نستمتع بالكسل أبدًا!

واشتركت أصوات الشياطين جميعًا، في هذه المكالمة التليفونية، ابتسم «أحمد» وقال: إذن، لماذا لا نعقد اجتماعًا مفتوحًا، نطرح فيه أفكارنا ومقترحاتنا!

واتفق الشياطين على اللقاء بعد عشر دقائق في قاعة التلفزيون، غير أن الاتفاق لم يكتمل فلم يكد الشياطين يضعون سماعات تليفوناتهم، حتى كانت هناك إشارة من رقم «صفر» تقول: الاجتماع بعد ربع ساعة في القاعة الكبرى!

ابتسم «أحمد»، ومن جديد رفع الشياطين سماعات تليفوناتهم، كانت أصواتهم مليئة بالسعادة فها هي مغامرةٌ جديدة، تأخذهم إلى حيث لا يعلمون الآن ... وقال «رشيد»: إن الإجازة سوف تبدأ الآن!

قالت «زبيدة»: أتمنى أن أقضيها في منطقةٍ ريفية!

وردت «ريما» أنا أتمنى أن أقضيها في غابة!

وقال «فهد» أما أنا، فأرجو أن أقضيها في منطقة جبلية!

ضحكوا جميعًا، ثم وضعوا سماعات تليفوناتهم، وأخذوا طريقهم إلى حيث قاعة الاجتماعات الكبرى، كانت القاعة مضاءة إضاءةً خافتة، فأخذوا أماكنهم فيها ... إن القاعة الكبرى لا تُعقد فيها الاجتماعات في العادة إلا إذا كان الأمر خطيرًا، وهذا ما جعل «مصباح» يقول: يبدو أنها مغامرة صعبة!

ابتسم «بو عمير» وقال: إن المغامرات الصعبة، لا نعترف بها، فليس عندنا ما يسمى بالصعب!

ابتسم الشياطين، وأضاف «قيس»: هذا حقيقي، لكن اجتماع القاعة الكبرى، يعني أننا أمام مغامرةٍ هامة، وربما جديدة أيضًا!

كان الشياطين يتحدثون، وهم يشعرون بسعادةٍ بالغة فهم لم يفكروا أن تأتيهم مغامرة بمثل هذه السرعة، فجأة ظهرت خريطة لقارة آسيا ... عرفها الشياطين جميعًا، برغم أن الأسماء لم تظهر عليها؛ فالشياطين لديهم قاعدة يعرفون بها الخرائط، حتى دون تفاصيل، هذه القاعدة تقول: إن القارات، هي إما مثلثات، أو مستطيلات أو مربعات، فقارة آسيا هي عبارة عن مستطيلٍ كبير، وعدة مثلثات، كمثلث الهند، وأمريكا الجنوبية مربع، ومثلث، حيث يقع المربع فوق ويلتصق به المثلث من أسفل، وقارة أفريقيا عبارة عن مستطيل ومثلث، وهكذا. عندما ظهرت آسيا، بمستطيلها الكبير، ومثلثاتها الصغيرة، عرفوها مباشرة، كانت الخريطة عبارة عن مساحاتٍ لونية، لا تشير إلا إلى تحديد هذه الدول، مرَّ بعض الوقت فقالت «إلهام»: إن مغامرتنا الجديدة، سوف تكون إذن في إحدى هذه الدول!

رد «بو عمير»: من يدري، قد تكون فيها جميعًا.

قال «مصباح»: لقد تحققت رغبة «فهد» وها هو سوف يقضي إجازته في منطقة جبلية.

كان «أحمد» يتأمل الخريطة، وهو يقول لنفسه: إن هناك حروبًا كثيرةً دائرة في آسيا؛ بلاد ترغب في التحرر وأخرى تريد استعبادها.

سكت لحظة، ثم قال لنفسه مرةً أخرى: هل سنشترك في حرب التحرير هذه أم أن لنا دورًا آخر؟

قال في نفسه أيضًا: إن شعوب آسيا شعوبٌ مسالمة، تربطنا بها في المنطقة العربية علاقات كثيرة ... ثم قال: أتمنى فعلًا أن تكون مغامرة رائعة.

فجأة، ظهرت تفاصيل أخرى على الخريطة. كان «أحمد» يحمل في جيبه خريطة صغيرة للعالم، ولم يكن حجمها يزيد على نصف الكف، وتمثل علبة صغيرة أخرج الخريطة، وضغط زرًّا فيها، فظهرت قارة آسيا، ثم ظهرت بقعة حمراء في غرب أحد الأنهار، نظر «أحمد» في خريطته الصغيرة، فوجد نهرًا أكبر فجأة، جاء صوت رقم «صفر» يقول «إنها مغامرة جديدة عليكم، لكن أعرف أنكم سوف تسعدون بها».

انتبه الشياطين لصوت الزعيم، الذي كان صوت خطواته يقترب، حتى توقف، رحَّب بهم ثم قال: إن مغامرتكم الجديدة، هي نوع من الحرب الصغيرة؛ فسوف تشتركون مع قوات هذا البلد في حرب تحريرها في معركةٍ محددة ولن يكون لكم دور غيرها ...

سكت قليلًا ثم قال: إن المعلومات التي وصلت إلينا، تقول إن قوات العدو سوف تعبر جسرًا صغيرًا فوق أحد الأنهار الذي ظهر على الخريطة ... صمت مرة أخرى، ثم أضاف: أنتم تعرفون بالتأكيد، أن هناك حربًا بين شعب هذا البلد، وبين قوات العدو التي تحتل أرضه، وتريد أن تفرض عليه نوعًا معينًا من الحكم، والشعب يرفض هذا الحكم، فالتفَّ حول قادته وقام بعملياتٍ عسكرية، حتى يتخلص من أعدائه ...

توقف قليلًا، ثم قال: لن أحدثكم طويلًا عن علاقة المنطقة العربية بشعوب آسيا ... فأنتم تعرفون الكثير، إنني فقط أريد أن أوضح لكم ما هو مطلوب منكم!

مرت دقائق، قبل أن يقول: إن قوات العدو، سوف تعبر هذا النهر الذي تشاهدونه على الخريطة من الغرب إلى الشرق، وإذا حدث هذا، فإنه يكون قد حقق انتصارًا كبيرًا، لأنه سوف يستطيع أن يتوغل في داخل البلاد، إن دوركم، هو نسف الجسر الذي يقع فوق هذا النهر ولن تكونوا وحدكم، فبجوار عملائنا المنتشرين في هذه البلاد، فإن قوات التحرير سوف تكون معكم.

توقف قليلًا، ثم قال: إن قوات التحرير الوطنية تقف في الجانب الآخر من هذا النهر، ولو أن قوات العدو استطاعت عبور النهر عن طريق الجسر فإنها بذلك تكون قد حققت انتصارًا كبيرًا.

سكت الزعيم، ومرَّت دقائق، كان الشياطين يستمعون له في اهتمامٍ شديد، فهم يعرفون أن هذه مغامرة لها قيمتها، فهي ليست مثل أية مغامرة سابقة، كان الزعيم في نفس الوقت يعطيهم فرصة للتفكير في هذه المغامرة الجديدة.

بعد قليل جاء صوت رقم «صفر» يقول: إن هذه العملية، تحتاج إلى بعض الوقت ... فقوات العدو، سوف تعبر الجسر خلال هذا الأسبوع ونحن لم نعرف موعد تحركهم بعدُ، وينبغي أن تكونوا هناك على وجه السرعة، سكت لحظة، ثم أضاف: إن عملاءنا هناك، سوف يكونون في انتظاركم، وأنتم تعرفون طبعًا نوع السلاح الذي سوف تستخدمونه في مغامرتكم الجديدة.

مرَّت دقائق، ثم قال: سوف يخرج إلى المغامرة الجديدة «أحمد» و«فهد» و«بو عمير» و«قيس» و«مصباح»، هل لديكم أية أسئلة؟

لم يكن الشياطين في حاجة إلى طرح أي سؤال، كانوا الآن في لهفة للوصول إلى هناك، والاشتراك في أعظم مغامرة؛ ولذلك فإن أحدًا منهم لم يسأل سؤالًا واحدًا.

قال رقم «صفر»: أتمنى لكم التوفيق، وسوف نكون على اتصال، إذا وصلتنا معلوماتٌ جديدة ...

أخذت أصوات أقدام الزعيم تتباعد شيئًا فشيئًا، حتى اختفت تمامًا، كان الشياطين الخمسة الذين حددهم رقم «صفر» يجلسون بجوار بعضهم، تلاقت أعينهم في نفس الوقت الذي كان فيه بقية الشياطين ينظرون إليهم، فقد كان كلٌّ منهم يتمنى أن يكون له شرف الاشتراك في هذه المغامرة النبيلة.

بعد لحظات، غادر الشياطين القاعة الكبرى في هدوء فأخذ الشياطين الخمسة طريقهم إلى حجراتهم، غير أن «أحمد» قال: سوف نلتقي عند نقطة الانطلاق بعد عشر دقائق!

أسرع «أحمد» إلى حجرته، يختار نوع الملابس التي يحتاجها، ونوع السلاح الذي يريده، في نفس الوقت فكَّر: إن نسف الجسر يحتاج إلى متفجرات، ونحن لم نستطع حملها من المقر السري، إلى حيث يقع الجسر!

ثم أضاف لنفسه: إن عملاء رقم «صفر» سوف يوفِّرون لنا ما نحتاجه من المتفجرات هناك ... ومن يدري، فقد نحصل عليها من المجاهدين الوطنيين أنفسهم.

نظر في ساعة يده ... كانت هناك بعض الدقائق، قال في نفسه: لا بأس من الخروج مبكرًا. حمل حقيبته السحرية، ثم أخذ طريقه إلى الخارج، وعندما أغلق باب حجرته، كان الشياطين الأربعة، يمرون، نظر لهم مبتسمًا، وقال «قيس» مبتسمًا: إن الشياطين متفقون دائمًا في كل شيء.

رد «أحمد»: نعم ... إن اتفاقنا هو العامل الأساسي في تحقيق أي انتصار نحققه.

أخذوا طريقهم إلى «الجراج»، حيث كانت سيارة في انتظارهم، قفزوا داخلها بسرعة وكان «قيس» هو الذي يجلس إلى عجلة القيادة، أدار محركها، ثم أنطلق، كانت المسافة التي تفصل بين «الجراج» وبوابة المقر الصخرية تمثل أكثر من خمسة أفدنة ... تنتهي بطريقٍ سريٍّ طويل، يصل طوله إلى ثلاثة كيلومترات، غير أن سرعة السيارة كانت كفيلة بأن تقطع ذلك كله في أقل من ثلاث دقائق، وعندما اقتربت سيارة الشياطين من البوابة الصخرية فُتحت وصدر منها صوتٌ مكتوم، وعندما انطلقت منها السيارة أُغلقت وصدر منها نفس الصوت، وأصبح الخلاء العريض أمام سيارة الشياطين، فانطلقوا في طريقهم إلى أعظم مغامراتهم، التي أطلق عليها «أحمد» اسم مغامرة «جسر وادي بانجشير».

رحلة شاقة بين الرصاص!

كان الوقت يمثل بالنسبة للشياطين أهم عناصر مغامرتهم؛ ولذلك عندما قاد «قيس» السيارة قطع الطريق إلى المطار بسرعةٍ مذهلة، حتى «بو عمير» ابتسم وهو يقول: أعتقد أننا لسنا في حاجة إلى الطائرة، فإننا نركبها الآن، ويمكن أن نصل إلى هدفنا بنفس السرعة!

وعندما وصلت السيارة إلى المطار، غادرها الشياطين فورًا في الوقت الذي كانت تذاكر السفر في انتظارهم، حصلوا على التذاكر، وأصبحوا في انتظار دعوتهم إلى ركوب الطائرة وكعادة «أحمد» اتجه إلى بائع الجرائد، ليشتري ما يقطع به المسافة الطويلة التي ستقطعها الطائرة.

ولم يمضِ وقتٌ طويل، حتى جاء صوت المذيعة الداخلية للمطار، تدعو الركاب لركوب الطائرة المتجهة إلى البلد الذي يريدون تحريره، وبسرعة كان الشياطين يأخذون طريقهم إليه، وبعد ربع ساعة، كانت محركات الطائرة قد دارت، ثم تحركت فوق أرض المطار إلى الممر، لتأخذ سرعتها، ثم ترتفع إلى الفضاء. كان النهار قد اقترب من منتصفه، عندما كانت الطائرة تأخذ مسارها في الجو، ولم يكن يشغل الشياطين شيء، فهم يعرفون هدفهم ويعرفون الطريق إليه؛ ولذلك فلم يطبِّقوا القاعدة الذهبية التي تقول: إن السفر خير وسيلة لجمع المعلومات.

كانت أول محطة نزول للشياطين في «الرياض» بالمملكة العربية السعودية، ثم «مسقط» في سلطنة «عمان»، ثم «كراكش» في «الهند»، وأخيرًا يصلون إلى المحطة، وهناك تبدأ حركتهم البرية داخل البلاد؛ ولهذا قضوا وقتهم بين النوم والقراءة، فهم دائمًا يحاولون قبل أي مغامرة، أن ينالوا قسطًا وافرًا من الراحة، لأنهم لا يعرفون متى ينامون مرةً أخرى خلال المغامرة، فقد لا يجدون خلالها وقتًا للنوم، خصوصًا وأن ساعات الطيران كانت

طويلة، فعندما نزلوا إلى العاصمة، كان النهار قد بدأ مرةً أخرى، وكانت هذه فرصة ليتحركوا بسرعة، خصوصًا وأنهم قد ارتاحوا جيدًا خلال الرحلة.

في المطار وجدوا أحد عملاء رقم «صفر» في انتظارهم، استقبلهم بطريقةٍ عادية، حتى لا يلفت النظر إليهم، وعندما خرجوا من المطار أعطاهم مظروفًا مغلقًا، وهو يقول: أتمنى لكم التوفيق، وفي انتظار ما تطلبون …

كانت هناك سيارة في انتظارهم أمام المطار، ما إن ركبوها، وانطلقت بهم، حتى فتح «أحمد» المظروف، وبدأ يقرأ ما فيه، كانت خطة التحرك كاملة، فهذه البلدة لا تتمتع بأي نوع من المواصلات؛ ولذلك فإن السيارة هي وسيلتهم الوحيدة للوصول إلى الهدف، وفي الخطة عرف الشياطين أنهم سوف ينزلون في فندقٍ صغير … فقير اسمه «بانجشير» وصاحبه يدعى «حاسان محمد»، وفندق «بانجشير» هو أقرب مكان للمنطقة التي يقع فيها الجسر، كان الطريق صعبًا تمامًا، حتى إن «فهد» قال مبتسمًا وهو جالس إلى عجلة القيادة: كنت أتمنى أن تكون المغامرة في منطقةٍ جبليةٍ أخرى غير هذه، لكن المغامرة العظيمة، هي التي تجعل المنطقة ممتعة!

كانت بوصلة السيارة، هي التي تحدد مسار انطلاقها؛ ولذلك فإن الشياطين لم يكونوا يفكرون كثيرًا في مشاق الطريق؛ فالسيارة تعرف طريقها جيدًا … قال «مصباح» فجأة: ألا توجد هنا مناطق يحتلها العدو؟!

رد «أحمد» بسرعة: لا … فهذه المناطق تسيطر عليها قوات التحرير!

ولم يكد «أحمد» ينتهي من رده، حتى دوَّت في الفضاء عدة طلقات متتالية، جعلت الشياطين ينتبهون فجأة؛ فقد كانت الطلقات موجهة إليهم.

قال «بو عمير»: إننا نتعرض لخطر حقيقي!

رد «أحمد» لا تخف، إن السيارة مصفحة، ولا تؤثر فيها الطلقات!

أضاف «بو عمير» ربما نقع في منطقة ألغام لا نعرفها!

رد «فهد»: إن السيارة تعرف طريقها، ورادار السيارة يجعلها في أمان، لأنه يكتشف أي خطر مبكرًا!

فجأة، دوَّت قنبلة هزَّت الفضاء، وسقطت عند مقدمة السيارة، فكادت تقلبها … قال «مصباح»: ينبغي أن يحدث أي نوع من التفاهم فقد تتصور هذه القوات أننا العدو!

كانت فعلًا لحظةً حرجة تمامًا، غير أن «أحمد» قال: إن معنا تصريح مرور، وسوف نستخدمه في الوقت المناسب، غير أن الوقت المناسب لم يحن بعدُ.

لكن فجأة اصطدمت مجموعة طلقات من مدفعٍ رشاش بجسم السيارة، وكان صوت اصطدام الطلقات بجسم السيارة واضحًا ... لذا قال «فهد»: ينبغي أن نعطيهم إشارة، تقول لهم إننا لسنا من الأعداء.

رد «مصباح»: هذا حقيقي، فقد تكون هذه قوات العدو، نحن لا نعرف أيًّا من الفريقين، خصوصًا والمسافة بيننا وبينهم كبيرة!

أسرع «أحمد» إلى المظروف مرةً أخرى، وجرت عيناه فوق التعليمات التي تحملها خطة عميل رقم «صفر»، ثم قال: هذا صحيح، إن لدينا إشاراتٍ ضوئية، ينبغي استخدامها.

ثم أخذ يحدد لـ «فهد» هذه الإشارات وقال له: اضغط زر الإضاءة مرتين، ثم مرة ثم مرتين، ثم ثلاث مرات.

أسرع «فهد» ينفذ هذه التعليمات، فجأة، توقف صوت طلقات الرصاص، فابتسم «مصباح» قائلًا: إنها قوات التحرير الوطنية فعلًا!

هدأ الموقف بعدها، وتنفس الشياطين في راحة، ضحك «بو عمير» وقال: لقد تصورت أن السيارة سوف يتم نسفها فعلًا!

ردَّ «مصباح» مبتسمًا: إن «فهد» يهوى المناطق الجبلية.

فجأة، قال «فهد»: «إنني لا أرى الطريق».

قال «أحمد» بسرعة: أعطهم الإشارات المتفق عليها.

أسرع «فهد» ينفذ تعليمات «أحمد»، فتوقف الضوء، كان هناك ضوءٌ قوي، يصدر من مكانٍ معين، غطَّى السيارة فجأة؛ مما جعل «فهد» يفقد قدرته على الرؤية ... وفهموا أن هذه نقطة تفتيش؛ أبطأ «فهد» من سرعة السيارة، حتى توقف تمامًا، فجأة ظهر من بين الصخور، مجموعة من القوات العسكرية، كانت تحمل الرشاشات، أسرع «أحمد» بإخراج التصريح وقدَّمه إليهم، قال قائدهم: أهلًا بكم في أرضنا، ينبغي أن تحذروا الطريق جيدًا ... وأن تسرعوا باستخدام الإشارات، حتى لا تقعوا في كمين ...

حيَّا الشياطين مجموعة المجاهدين، وقال القائد: هذه تعليمات المنطقة القادمة.

سكت لحظة ثم سأل: إلى أين سوف تتجهون؟

رد «أحمد»: إلى وادي «بانجشير»!

ظهرت الدهشة على وجه القائد، وقال: هذه رحلةٌ طويلة ...

ابتسم «أحمد» وردَّ: إنها رحلةٌ ضرورية.

قال القائد بعد لحظة: إن أمامكم عدة نقاط للتفتيش فاحذروا، لأن أي خطأ، يعني ضياع حياتكم.

فكَّر لحظة، ثم قال: هذه هي التعليمات التي يجب استخدامها، حتى نقطة التفتيش القادمة، ويجب أن تتوقفوا عند كل نقطة للتفتيش، لأن التعليمات تتغير ما بين منطقة وأخرى، ويجب ألا تتحركوا قبل أن تحصلوا على تعليمات المنطقة القادمة.

سكت لحظةً أخرى، ثم قال: لا أريد أن أخيفكم، أو أبث الرعب في قلوبكم، فقد تفاجئكم جماعة من العدو، تتسلَّل لعملية من العمليات الصغيرة، فخذوا حذركم جيدًا ...

سأل «أحمد»: هل هناك تعليمات أو إشارات، يجب اتِّباعها في هذه الحالة؟

رد القائد: نعم، إن استخدام الإشارات الضوئية الجديدة يعني أنكم تتفاهمون مع قواتنا، فإذا لم تردَّ عليكم القوة بنفس الإشارة فاعرفوا أنها قوات العدو، وعليكم التصرف.

ابتسم وهو يضيف: هل تستطيعون ذلك؟

رد «أحمد»: نعم.

قال القائد: تمنياتي لكم بالتوفيق، وأرجو أن ألقاكم مرة أخرى!

حيَّا الشياطين مجموعة المجاهدين، ثم تحركت السيارة، كان الصمت يحيط بالشياطين؛ فقد كانوا يفكرون في كلمات القائد. بعد قليل قال «بو عمير»: إنها مغامرةٌ فريدة، فنحن نتعامل مع نوعَين من المحاربين.

تساءل «مصباح» بعد لحظة: لفت نظري اسم صاحب فندق «بانجشير» «حاسان محمد»!

رد «أحمد»: إنهم يعنون «حسن» وهم ينطقونها بطريقتهم «حاسان»!

ابتسم «مصباح» وقال: إنها فعلًا لم تخطر على ذهني، مع أنها واضحة تمامًا!

ومرةً أخرى، لفَّهم الصمت، كانت مناظر الجبال الموحشة، تجعل الإنسان يشعر بالرهبة، فلم تكن هناك أية مزروعات، ولم تكن الحياة تبدو في المكان بأي مظهر من مظاهرها، حتى إن «بو عمير» سأل: هل يمكن أن تكون هذه المناطق مهجورة؟

رد «أحمد»: مهجورة لبعض الوقت، فالوقت كله من أجل التحرير، بجوار أن الطريق الذي نمشي فيه طريقٌ سري، لا يعرفه أحد سوى القوات العاملة في المنطقة، فهناك مناطقُ الحياةُ مستمرة فيها بشكلٍ طبيعي ...

سكت لحظة ثم أضاف مبتسمًا: وإلا كيف يمكن أن يعيش الناس بلا عمل ولا إنتاج؟

كانت السيارة، تمشي بسرعةٍ قليلة نظرًا لطبيعة المنطقة الجبلية؛ ولذلك تساءل «مصباح»: إن الوقت سوف يضيع في هذه السرعة البطيئة!

ردَّ «فهد»: ماذا نفعل؟ إننا نتعامل مع الطبيعة في صورتها الحقيقية، فلم تنشأ الطرق الممهدة بعدُ ...

أضاف «مصباح»: إن الوقت يمثل أهميةً خاصة لنا في هذه المغامرة، وكما قال رقم «صفر»: إن قوات العدو سوف تعبر الجسر خلال هذا الأسبوع، ولا أظن أنه من المفيد أن نصل بعد أن تكون القوات قد عبرت.

مرَّت دقائقُ صامتة، كان كلٌّ منهم يفكر في الكلمات التي قالها «مصباح» لحظة، ثم قال «قيس»: أظن أنهم سوف يحتاجون لبعض الوقت، حتى يمكن تنفيذ المرور، فالمنطقة وعرة، ومرور قوات يعني أسلحة ومصفحات، وربما دبابات ومدفعية وغيره، وهذه لا تتحرك بنفس سرعتنا على الأقل.

قال «مصباح»: إنها في النهاية مسألةً غير مريحة، وأرجو ألا يعاندنا الحظ، وتنتهي المغامرة بلا نتيجة!

قال «أحمد» بهدوئه المعتاد: لاحظ أننا في بداية الأسبوع. وأظن أن الوقت في صالحنا ... رد «مصباح»، أرجو هذا!

غير أن كلمات «مصباح» أقلقت «أحمد» فعلًا؛ فأخذ يقلبها في ذهنه، مدَّ يده، وأدار راديو السيارة وأخذ يبحث عن الإذاعة الوطنية لهذه البلد.

قال «قيس»: ربما تفيدنا نشرة أخبار مثلًا.

فجأة، توقفت يد «أحمد» وهمس: هناك إشاراتٌ شفرية!

بدأ يسمع ويسجل الإشارات، ثم همس: يبدو أننا سوف نحقق أهدافنا، ويبدو أن حسن الحظ سوف يكون حليفنا.

ظل يتابع الإشارات ويسجلها، وعندما توقفت، قال: ينبغي إرسالها إلى المقر السري ... فهي إشارات غريبة ...

وبسرعة أخرج جهاز الإرسال الخاص به ثم أرسل رسالةً شفرية إلى المقر السري، بما سجله من إشارات، وعندما انتهت رسالته إلى المقر السري، همس «مصباح»: سوف تكون لحظةً حاسمة!

فقد فكر الشياطين في موعد المرور فوق الجسر.

أسرع معركة للشياطين!

شغلتهم تلك الرسالة الشفرية التي التقطوها بالصدفة من الراديو؛ ولذلك كان الصمت يحوطهم تمامًا ... استسلم «مصباح» لصوت موتور السيارة الرتيب، أما «فهد» فقد كان يركز بصره على الطريق الصعب الذي تمشي فيه السيارة ... وكان «قيس» يعيد كلمات «مصباح» في ذهنه مرةً أخرى ... ثم قال في نفسه: سوف تكون خسارةً ضخمة، إذا لم نلحق بالموعد عند «جسر وادي بانجشير!» ...

وكان «بو عمير» ينظر إلى الجبال الممتدة وهو يقول: كم هي شاقة هذه الحياة في هذه المنطقة الجبلية!

غير أن «أحمد» كان يفكر بطريقةٍ أخرى ... فقد شغلته الرسالة الشفرية ... وكان يحاول أن يجد حلًّا لها، حتى يأتيهم ردُّ المقر السري؛ عندئذٍ قطع «مصباح» الصمت قائلًا: لو أن معنا جهاز الحل الشفري، لكنا الآن، نعرف قيمة خطواتنا تمامًا!

ابتسم «أحمد» وقال: إنه يحتاج إلى عربة نقل لتحمله ... فهو يحلُّ أي نوع من الشفرة، ويقوم بعمليات تصل إلى مليون عملية ...

ابتسم «مصباح» وردَّ: ينبغي أن يصنعوا لنا جهازًا للشفرة فقط، نحمله معنا، ولا حاجة لنا بمليون عملية يقوم بها الجهاز!

ولم يكن الرد، سوى طلقاتٍ سريعة دوَّت، وهي تصطدم بجسم السيارة ... فقال «بو عمير»: لعلها نقطة تفتيش جديدة!

رد «أحمد»: لا أظن ... فنحن لم نغادر النقطة السابقة إلا من وقت قليل!

تعامل «فهد» بالإشارات الضوئية الجديدة، وكانت مرتَين، ثم مرة ... ثم مرتين، لكن الرصاص لم يتوقف ...

قال «أحمد»: هذه قوات العدو بالتأكيد!

هتف «مصباح»: هل أرسلت الإشارات الصحيحة يا عزيزي «فهد»؟

رد «فهد»: بالتأكيد ... ومع ذلك فليفعل «أحمد» ذلك!

أسرع «أحمد» يرسل الإشارات تبعًا لتعليمات القائد الوطني، غير أن طلقات الرصاص لم تتوقف ... قال «قيس»: ربما تكون إحدى دوريات العدو الصغيرة ... فكميات النيران تكشف حجم القوة!

كانت السيارة تقترب من نقطة انطلاق الطلقات ... ولم يكن يظهر أحد ... فقال «أحمد»: يبدو أنهم يطلقون طلقاتهم من بين الصخور، وهم يختبئون خلفها ...

ظل «فهد» يتقدم بالسيارة، حتى أصبحت طلقات الرصاص قريبة تمامًا ... سأل «فهد»: هل أتوقف؟

ردَّ «أحمد»: لا ينبغي أن تتوقف إلا أمامهم تمامًا، حتى نرى حجمهم جيدًا.

استمر «فهد» في تقدمه، حتى وصلت السيارة أمام النقطة تمامًا ... فقال «أحمد»: توقف الآن، واجعل السيارة جاهزة للانطلاق ...

لحظة، ثم ظهر أحد الجنود فقال «قيس» بسرعة: إنه فعلًا ليس من أهل البلاد ... فهذه ليست ملامحهم، ولا لونهم ...

فجأة، ظهر خلفه ثلاثةٌ آخرون ... فقال «قيس»: هل هذه هي القوة كلها ... أظن أن هذه مقدمتها فقط!

فجأة، ظهر آخر، وظل واقفًا عند نقطةٍ مرتفعة لا يغادرها فأضاف «قيس»: يبدو أنهم خمسة فقط، وإذا كانوا كذلك فإن فرصتنا جيدة، في معركة سريعة!

ابتسم بقية الشياطين، بينما كان قائدهم يتقدم نحو السيارة، وهو يوجِّه الرشاش إلى وجوههم ... همس «أحمد»: لا ينبغي الاشتباك، أو إطلاق الرصاص، حتى نرى، وكلمة السر «حاسان»

توقف قائد جنود العدو، بعيدًا عن السيارة قليلًا، ثم صرخ بكلمات، لم يسمعها الشياطين فقد كانت كل أبواب السيارة مغلقة ... ضغط «فهد» زرًّا في تابلوه السيارة، فانفتحت عدة فتحاتٍ صغيرة سرية في أجزاء متفرقة من أسفل السيارة، وبدءوا يسمعون الصوت ... صرخ القائد: اهبطوا، واتركوا كل شيء داخل السيارة!

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال «لفهد»: اترك موتور السيارة يعمل واضغط الفرامل السرية ...

نفذ «فهد» تعليمات «أحمد»، مرَّت دقيقة، ثم فتح «أحمد» الباب، وهو يحدد خطة الاشتباك، وهمس بلغة الشياطين: يبقى «قيس»، وعليه أن يتعامل مع الجندي الخامس في الوقت المناسب.

غادر «أحمد» السيارة، وخلفه «مصباح»، ثم «فهد» و«بو عمير»، كان الجنود الأربعة، يقفون في نصف دائرة، وقد وجهوا رشاشاتهم إلى الشياطين ...

اقترب «أحمد» ... فصرخ قائدهم: قف عندك!

توقف «أحمد»، وقد رسم ابتسامةً عريضة على وجهه، صرخ القائد: من أنتم؟

رد «أحمد»: نحن من الهلال الأحمر الدولي!

انتظر القائد لحظة، ثم قال: هل معك تصريح مرور؟

ابتسم «أحمد» مرةً أخرى، وقال: نعم ...

سأل القائد: أين هو؟

رد «أحمد» بنفس الابتسامة: في السيارة ...

أشار القائد بالرشاش إلى السيارة، وهو يقول: تقدم أمامي إليها!

استدار «أحمد» واتجه إلى السيارة، وقد فكر في خطةٍ سريعة ... كان القائد يمشي خلفه بعدة خطوات ... قال «أحمد» في نفسه: إن الفرصة الوحيدة، هي هذه اللحظة، لكن تنفيذها سوف يكون صعبًا ...

عندما اقترب نظر إلى «قيس» نظرات فهمها، وضع «قيس» يده فوق مسدسه، واطمأن إلى أنه جاهز، اقترب «أحمد» من السيارة أكثر، فصرخ القائد: فليخرج الآخر من السيارة!

كانت هذه هي اللحظة المناسبة، عندما كان «قيس» ينزل من السيارة، نظر إلى الشياطين الثلاثة نظرات فهموها ... قال «أحمد» في نفسه: إن توقيت المعركة هو سر نجاحها ... لو أن لحظةً واحدة اختلفت فسوف ننتهي جميعًا ... انحنى داخل السيارة، وهو يوهم القائد بأنه يبحث عن التصريح، فصرخ القائد: أسرع!

تباطأ «أحمد» قليلًا ... فهذه هي الخطة، اقترب القائد أكثر، حتى أصبحت خطوة واحدة ... هي التي تفصل بينه وبين السيارة ... في نفس الوقت، كان «قيس» قد استعد لأداء مهمته ... وكان «مصباح» و«بو عمير» و«فهد» قد استعدُّوا لأداء مهمتهم أيضًا ... تباطأ «أحمد» أكثر فاقترب القائد ... ودفعه بماسورة الرشاش في ظهره، وكانت هذه هي إشارة البدء ... في وقتٍ واحد كان الشياطين يتحركون ... ضرب «أحمد» القائد، ضربة قوية أطاحت به، ثم قفز إليه ...

في نفس الوقت، كان «بو عمير» و«فهد» و«مصباح» قد ضربوا رشاشات الجنود الثلاثة، وكان «قيس» قد وجه مسدسه في سرعةٍ مذهلة إلى الجندي الذي يقف عند المرتفع، فأصابه إصابةً مباشرة، جعلته يسقط ... أسرع «أحمد» وضرب القائد ضربةً قوية، جعلته، يدور حول نفسه فعاجله بأخرى، في نفس الوقت كان «مصباح» قد طار في الهواء، وضرب

أحدهم ضربةً قوية جعلته يطير في الهواء ... وكان «بو عمير» و«فهد» قد اشتبكا مع الآخرين، لكن المعركة لم تكن صعبة؛ ففي أقل من ربع ساعة كان الشياطين قد قضوا على مجموعة الجنود ...

نظر «أحمد» إليهم، وقال: هذه فقط هي المقدمة!

ضحك الشياطين ضحكاتٍ خافتة ... وقال «مصباح»: إن علينا أن نجمع الغنائم ... ونأخذ الرشاشات والطلقات ...

قال «أحمد»: هذه ليست غنائم في هذه الحالة، إنها يمكن أن تكشفنا، إذا تعرضنا لأي اشتباكٍ جديد ...

سكت لحظة ثم قال: ينبغي أن نخفي آثار المعركة، حتى لا نلفت نظر أحد، قد يأتي خلفنا ...

وبسرعة، أخفوا الجنود، وأخفوا الرشاشات ثم اتجهوا إلى السيارة، وعندما ركبوها ... قال «مصباح»: كانت معركة طريفة!

رد «فهد»: نعم ... هذه أسرع معركة للشياطين، وسوف نحكي عنها للزملاء عندما نعود!

أضاف «بو عمير»: إن التوقيت كان سليمًا تمامًا ... ولو تأخرت لحظة، أو حتى تقدمت، لكنا الآن في عالم آخر!

تحركت السيارة ... فجأة أعطى جهاز الاستقبال إشارة، فقال «أحمد»: إنها رسالة رقم «صفر»!

بدأ «أحمد» يتلقى الرسالة ... التي تحمل رسالة الشفرة للعدو، وكانت الرسالة الشفرية تقول: إن المرور فوق جسر وادي «بانجشير»، سوف يتم ليلة الأربعاء، بعد اختفاء آخر ضوء للنهار!

همس «أحمد» بعد أن نقل الرسالة للشياطين الأربعة: إن الوقت في صالحنا فاليوم السبت ... أي أن أمامنا ثلاثة أيام ... ثم يوم الأربعاء بكامله ...

ابتسم ثم أضاف: حتى آخر ضوء ...

كان النهار قد بدأ ينتهي والغروب يزحف إلى الوجود، فقال «قيس»: إن الليل سوف يكون أكثر أمنًا لنا، خصوصًا أننا لا نحتاج إلى ضوء ... فالسيارة تتقدم بالرادار ...

كانت لحظةً شاعرية، وإن كانت الوحشة يلفُّها اللون الرمادي الذي بدأ يلفُّ الكون والصمت يحوط الجبال، وكأنه يخفي شيئًا، وأضواء الشمس الحمراء ... لم يبقَ منها، سوى لمحاتٍ قليلةٍ عند أطراف الجبال ...

كان الشياطين يراقبون اللحظة تمامًا ... فقد كانت لحظة لا ينبغي أن تفوتهم ... تردد صوت موحش في هذا الخلاء الجبلي ... وقال «قيس»: إنه صوت ذئبٍ وحيد، فالذئاب إذا اجتمعت لا تصدر صوتًا ... إنها تهاجم فريستها في صمت!

رد «مصباح»: لعله ينادي قطيعًا من الذئاب الأخرى، أو لعله تاه في الجبال، ويطلب النجدة ...

ابتسم الشياطين ... ولم يعلق أحدهم بشيء ... لحظة، ثم قال «فهد»: إن سرعة السيارة تزداد ... وهذا يعني أننا في منطقة أحسن!

همس «بو عمير»: إن ذلك يعطينا فرصة الوصول أسرع!

لكن يبدو أن الفرصة سوف تتأخر ففجأة سمع الشياطين صوتًا، وكأنه انهيار جبل ... فقال «أحمد»: لقد أنقذتنا فتحات السيارة التي نسينا أن نغلقها ولولاها ما كنا سمعنا الصوت ...

صراع ... مع الذئاب!

فجأة، أضاء جهاز الاستقبال، قال «أحمد» بسرعة: إنها رسالة من المقر السري!

بدأ يتلقى الرسالة، فظهرت على وجهه علامات الدهشة ... كان بقية الشياطين يتابعون وجهه ... فهمس «مصباح»: ماذا هناك؟

كانت الرسالة قد انتهت، فقال «أحمد» بأسف: لقد نسف فندق «بانجشير»!

ارتسمت ملامح الألم على وجه الشياطين ... غير أن «أحمد» قال: هذه مسألة متوقعة ... وأرجو ألا يعطلنا هذا عن رحلتنا.

كان الصوت لا يزال يتردد في الخارج ... وقد أصبح أقل ... همس «فهد»: ينبغي أن ننزل، لنرى!

رد «أحمد» بعد لحظة: أظن أننا يجب أن نستخدم الأشعة فوق الحمراء، بدلًا من أن نتعرض لمفاجأة، قد تضرنا!

بسرعة، ضغط «فهد» زرًّا في تابلوه السيارة، فانطلقت الأشعة فوق الحمراء من مصباحَي السيارة ... وكان المنظر الذي شاهده الشياطين غريبًا، لقد سد الطريق أمامهم، لقد انهار جبل فعلًا، وتسبب انهياره في سد الطريق ...

قال «بو عمير»: هل نغادر السيارة؟

ابتسم «فهد» وقال: لماذا؟

سأل «بو عمير»: هل سنقضي الليل هنا؟

ردَّ «فهد»: ولماذا نقضيه هنا؟ ... إن سيارتنا مجهزة لأي أرض.

قال «بو عمير»: إن الانهيار سوف يكون هشًّا تمامًا، وهذا قد يتسبب في ابتلاع السيارة!

ابتسم «فهد» وهو ينظر إلى «أحمد» قائلًا: هل ننطلق؟

ردَّ «أحمد»: نعم ... ينبغي ألَّا نُضيِّعَ وقتًا!

تقدم «فهد» حتى اقترب من منطقة الانهيار ... ثم ضغط زرًّا في تابلوه السيارة، ورفع سرعة الموتور إلى حده الأقصى ... ثم انطلق، وفي هدوء، كانت السيارة ترتفع فوق منطقة الانهيار تمامًا، وتتجاوز السد الصخري الجديد، كان الشياطين يرون في ذلك متعةً حقيقية ... وعندما نزلت السيارة في الجانب الآخر، ولامست عجلاتها الأرض، قال «بو عمير»: صدقني يا عزيزي «فهد»، إنني لم أكن أعرف ...

صمت لحظة، ثم ابتسم وقال: الآن أستطيع أن أصل إلى القمر بهذه السيارة، دون أن أشعر لحظةً واحدة ... بالتردد!

ابتسم «فهد» وهو يردد: ها هو القمر يا عزيزي «بو عمير»!

كان القمر قد بدأ يظهر من خلف الجبال، فبدا المنظر رائعًا ... ابتسم «بو عمير» وقال: إنك صاحب الرحلة، فأنت الذي تمنيت أن تقضي إجازة في منطقة جبلية!

ابتسم «فهد» ولم يردَّ ... كان الجو رائعًا ... السماء صافية ... والقمر في تمامه ... يرسل ضوءه فيغطى كل شيء بلونه الفضي ... والصمت يحوط المنطقة وصوت الذئاب لم يكن يسمع، حتى إن «مصباح» قال: هذه مسألة مدهشة ... إن الذئاب، يثيرها جدًّا ضوء القمر ... وظهوره ... ومع ذلك فلا صوت لها!

ردَّ «قيس» ضاحكًا: لعل الذئاب تستمتع بالقمر الآن ... أو لعلها في حالة شاعرية!

فجأة، قطع الصمتَ عواءُ الذئاب، كان العواء يتردد صداه في الجبال، فيبدو كالرعد؛ قال: «بو عمير»: ها هي الذئاب يا عزيزي «مصباح»، حتى لا تصيبك الدهشة!

فجأة، ظهرت الذئاب عند قمة جبل، كان عددها كبيرًا ... حتى إن «فهد» قال: يبدو أننا مقبلون على معركة جديدة!

بدأت الذئاب تهبط ... ولأنها في لون الجبال، فإنها لم تكن تظهر ... غير أن «أحمد» قال: إنها في الطريق إلينا بالتأكيد!

سكت لحظة، ثم ابتسم قائلًا: لعلها تمني نفسها بأكلة فاخرة!

كانت السيارة متقدمة في بطء، لطبيعة الطريق الجبلية، ضغط «أحمد» زر الضوء في تابلوه السيارة، فاندفع الضوء قويًّا، وفي جانب من الجبل ظهر تجمُّع الذئاب، كان العدد كبيرًا فعلًا، بدأ صوت عواء الذئاب منخفضًا، وكأنها كانت تتفاهم بلغتها في نفس الوقت، كانت الأصوات تصل إلى الشياطين من خلال فتحات السيارة ... أخذ الصوت يرتفع، حتى أصبح كالزئير، يصم الآذان ...

قال «فهد»: هل نشتبك معهم؟

رد «أحمد»: لا أظن أننا في حاجة إلى ذلك!

فجأة، بدأت الذئاب تتجه إلى مقدمة السيارة، ثم تصطدم بها في عنف، حتى إن السيارة كانت تهتزُّ، لحظة، ثم تحولت الذئاب من مقدمة السيارة إلى جانبها الأيمن ... كانت تبدو وكأنها تعرف ماذا تفعل ... كانت تبتعد عن السيارة في وقتٍ واحد ... ثم تندفع جميعها معًا في وقتٍ واحدٍ ... حتى بدا وكأن السيارة سوف تنقلب ...

قال «قيس» بسرعة: ينبغي أن نتخلص منها ... إنها فعلًا تستطيع أن تقلب السيارة ...

ابتسم «أحمد» وقال: عليك ببعض كرات الغاز ... إنه سوف يجعلها تهرب!

وبسرعة، كان «قيس» يلقي في بعض فتحات السيارة، عددًا من كرات الغاز، مر بعض الوقت ثم أخذ الغاز يسري في المكان ...

قال «أحمد»: أغلق كل المنافذ المفتوحة!

ضغط «فهد» زرًّا في تابلوه السيارة، فانقطع صوت الذئاب ... وأخذ الشياطين يراقبونها من خلال الزجاج ...

قال: «فهد» بعد لحظة: يبدو أن الغاز قد أثارها، فهي تعيد اصطدامها بالسيارة في عنف!

كانت السيارة تهتز بشدة، حتى خشي الشياطين، أن تنقلب بهم ... وقال «أحمد»: لا بأس ... سوف تهدأ الآن، أو تتعب ...

مضت بعض الدقائق ... ثم بدأ الاصطدام يخف شيئًا فشيئًا، حتى انتهى تمامًا ... ورأى الشياطين الذئاب، وهي تقف في أماكنها لا تتحرك ... ثم فجأة، بدأت ترقد على الأرض ... قال «بو عمير»: يبدو أن الغاز قد شل حركتها تمامًا!

وبسرعة، نسي الشياطين هجوم الذئاب، فقد تردد في فضاء المكان صوت ... كان يبدو صوتًا متفقًا عليه ... فهو يتردد بطريقةٍ منتظمة، وكأنه صوت حيوانٍ جبلي ...

قال «قيس»: إنه صوت غريب! ...

رد «أحمد»: أظن أنه لسكان الجبال ... فهم الذين يلجئون إلى هذه الأساليب القديمة مع أنهم يعرفون منطقتهم جيدًا!

ظل الصوت يتردد: فقال «بو عمير»: لعلهم اكتشفوا وجودنا ... وهذه صيحات تحذير!

رد «أحمد»: ربما.

فجأة، كانت أجسام بعض الرجال، تسقط فوق سقف السيارة، وكأنها قطع الصخور ... أسرع «فهد» يعطي الإشارات الضوئية المتفق عليها ... والتي عرفها الشياطين في نقطة المراقبة الأولى ... وفجأة مرةً أخرى ... هدأ كل شيء ... وظهر عدد من الرجال حول السيارة

وبأيديهم بنادقهم ... رفع «أحمد» يده بالتحية فردوها ... أسرع بإنزال زجاج السيارة ... فتقدم أحد الرجال منه قائلًا: هل لديكم تصريح بالمرور؟

رد «أحمد»: نعم!

ثم قدم له تصريح المرور ... أخذه الرجل، ثم مزَّقه فابتسم «أحمد» ... وإن كان بقية الشياطين قد أصابتهم الدهشة ... فكيف سيمرون من نقطة التفتيش بعد ذلك ... لكن ما فعله الرجل، جعلهم يبتسمون ... فقد قدم «لأحمد» تصريحًا آخر وهو يقول: مبتسمًا: سوف يتكرر معكم هذا بعد كل نقطتي تفتيش!

سكت لحظة، ثم أضاف: إن الإشارات كما هي لم تتغير بعد!

ثم قال: أتمنى لكم التوفيق ... لكن ...

صمت لحظة ثم قال: خذوا حذركم ... فأنتم تقتربون من منطقةٍ خطرة، قد تقابلون فيها عدونا مرارًا!

ابتسم «أحمد» وهو يرد: إن ذلك سوف يسعدنا كثيرًا!

لم يبدُ على الرجل أنه قد فهم «أحمد»، الذي ابتسم يشرح له ما يقصده: لقد قابلنا بعضهم في الطريق ... ولقَّناهم درسًا جيدًا ...

ابتسم الرجل وقال: فهمت ... إننا نشكركم!

كان الحديث يدور بينهم بالعربية الفصحى، فقال الرجل: إن نطقكم للغة العربية جميل وواضح!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: أستودعك الله ... وأرجو أن نلتقي في طريق العودة ...

تقدمت السيارة، ومضى الوقت دون أن يظهر أحد ... كان الشياطين متحفزين، منذ أن قال لهم أحد الوطنيون إنهم سوف يلتقون بجماعات من العدو ... لكن حتى هذه اللحظة فإن أحدًا لم يظهر، كان الطريق قد بدأ يستقيم، ويصبح أكثر سهولة، بعد أن كان صعبًا ... وكثير الانحناءات ...

قال: «فهد»: أعتقد أننا نقترب من نقطة الهدف!

ابتسم «أحمد» وقال: إن ذلك حق، فأي خطوة نخطوها، تقربنا من الهدف!

ظل الطريق مريحًا ... وكانت السيارة تتقدم بسرعةٍ كبيرة ... حتى إن «بو عمير» قال: إن الطريق الممهد، يعني أننا نقترب بسرعة!

رد «أحمد»: هذا صحيح!

فجأة، تردد ضوء متقطع، انعكس على زجاج السيارة الأمامي ... فقال «فهد»: يبدو أننا نقترب من نقطة تفتيش جديدة!

رد على الإشارات الضوئية، بإشارات مثلها ... وظل متقدمًا حتى ظهر أحد الرجال ... ما إن رآهم، حتى ابتسم قائلًا: أهلًا بكم ... نحن في انتظاركم من مدة!

فتح «أحمد» الباب، ونزل إليه، ثم مدَّ يده مسلِّمًا، وقال: كنا نتمنى أن نصل مبكرين ... لكن وعرة الطريق، وما قابلنا فيه حالت دون ذلك ...

قال الرجل: أعرف!

ثم قدم نفسه إليه: اسمي «مصطفى مهر»!

سكت لحظة ثم أضاف: إنني القائد الثاني لمنطقة وادي «بانجشير»، إن الطريق أمامكم سوف يكون سهلًا للغاية، حتى الوصول إلى مقر القيادة في الوادي، وسوف تعبرون الجسر فوق النهر لتصبحوا في منطقة الأمان ...

سكت لحظةً أخرى، ثم قال: هل تحتاجون إلى دليل؟

ابتسم «أحمد» وهو يرد: لا داعي ... إن ذلك قد يعرِّضنا لخطر لا نريده!

شد «مصطفى مهر» على يد «أحمد» وقال: أتمنى لكم التوفيق والوصول بسلامة الله.

شكره «أحمد» وقفز إلى السيارة ... التي انطلقت مسرعة ... ولم يستطع «قيس» أن يخفي تساؤله: هل يعرفوننا؟

ابتسم «أحمد» وقال: نعم، لكنهم لا يعرفون مهمتنا ...

وانطلقت السيارة في طريقها لتقطع وادي «بانجشير» ... ولتبدأ المرحلة الأخيرة في مغامرة الشياطين ...

فجأة ... حدث ما لم يفكروا فيه!

كان الليل قد تجاوز منتصفه بكثير ... وربما يكون الفجر قد اقترب ... تساءل «قيس»: هل تتوقعون متى نصل إلى نقطة الهدف؟

رد «فهد»: أظن أن ذلك سوف يكون قبل طلوع الشمس ... فالمسافة الباقية ليست طويلة، بالإضافة إلى أن الطريق أصبح أكثر سهولة ...

ظلت السيارة في طريقها ... ولم يكن شيء يعوق مسيرتها ... ولم تظهر لهم أي عقبة، فكر «أحمد»: إن ذلك سوف يجعلنا نأخذ وقتًا كاملًا في تجهيز عملية نسف الجسر ... غير أن ما حدث بعدها مباشرة جعل «أحمد» يتردد كثيرًا ... كان ضوء الفجر قد بدأ يتسرب إلى الوجود ... وكانت الألوان القاتمة تلون كل شيء ... وكان القمر قد اختفى وأصبح المكان أكثر وحشة ... فجأة اصطدمت طلقة بإحدى عجلات السيارة، فاهتزت ... لم يكن الصوت مسموعًا ... فقد أغلقت منافذ السيارة ... ولذلك قال «أحمد» بسرعة: افتح المنافذ حتى نعرف ماذا يدور حولنا!

عندما فتح «فهد» منافذ السيارة السرية، تردد صوت الطلقات ... قال «بو عمير» بسرعة: أظن أن هذه ليست قواتٍ وطنية ... ولا بد أنها نقطة للعدو!

همس «مصباح»: إن القائد «مصطفى مهر» قال إن الطريق آمن.

كان صوت الطلقات يزداد ... وهمس «بو عمير»: هل نكون قد ضللنا الطريق، ودخلنا في منطقة العدو؟

رد «فهد»: لا أظن ... فالبوصلة تشير إلى الاتجاه الصحيح!

رد «بو عمير»: ربما تكون إحدى دوريات العدو، التي تمسح المنطقة لتطمئن إلى عبور قواتها للجسر، دون مقاومة.

همس «أحمد»: أرجح أن ما قاله «بو عمير» صحيح!

ظلت الطلقات تتردد، وكان صوت اصطدامها بجسم السيارة ... يثير الشياطين ... فقد ظهر أن نسبة الضرب هذه المرة كانت عالية ... ولم يستطع الشياطين عمل شيء ... فهم لا يستطيعون مغادرة السيارة تحت هذا الوابل من الرصاص ... وأيضًا لا يستطيعون الاشتباك مع القوات وهم داخل السيارة ... لم يكن أمامهم، إلا الانطلاق بسرعة ... في محاولة للخروج من سيطرة النيران ... لكن فجأة، تغير كل شيء ... فقد ظهرت من خلف أحد الجبال سيارةٌ مصفحة، واعترضت الطريق ... أوقف «فهد» السيارة ... وقد ظهر للشياطين أنهم مضطرون للاشتباك ... لكنهم لا يعرفون كيف ... برغم وقوف السيارة إلا أن وابل الطلقات لم ينقطع ... فجأة برز أمامهم مدفع، يخرج من أعلى السيارة المصفحة، ويتجه إليهم ... همس «فهد»: إذا حدث واستخدموا المدفع فأظن أننا لن نستطيع عمل شيء وربما تعرضنا للخطر ...

فكر «أحمد» بسرعة: إن الموقف يحتاج إلى خدعة ... فالطريق مسدود، ولا يمكن المرور ولا يمكن أيضًا مغادرة السيارة ... فلا أحد يظهر ...

قال «قيس»: علينا باستخدام قنابل الدخان!

وأضاف «بو عمير»: وقنابل الغاز أيضًا ...

فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: إنني أوافق على الفكرتين ... على أن نستخدم قنابل الغاز أولًا ...

نظر إلى «فهد» وقال: هذه فرصتك في تكملة المغامرة ... سوف نرتفع بالسيارة، ونمر فوق المصفحة، عندما يغطي الدخان المكان ... وسوف تكون قنابل الغاز، قد فعلت فعلها ... يجب أن يتم ذلك بسرعة ... فضوء النهار قد بدأ ... ولا ندري ماذا يمكن أن يحدث ...

أخرج «أحمد» منديلًا أبيض ... ثم فتح السيارة، ورفع يده بالمنديل بما يعني الاستسلام توقف صوت الطلقات ... وكانت سيارة الشياطين تقف في مكانها ... همس «أحمد»: نلقي أولًا بقنابل الغاز!

أسرع الشياطين يقذفون قنابل الغاز في اتجاه المصفحة ... في نفس الوقت، ضغط «فهد» زرا في تابلوه السيارة، فأصدر تيَّارًا قويًّا من الهواء ... فتدحرجت القنابل الشفافة في اتجاه المصفحة بسرعة ... كانت المصفحة تقترب هي الأخرى ... فجأة، رفع «فهد» سرعة موتور السيارة، وضغط زر كاتم الصوت حتى لا يكتشف أحدهم صوت السيارة ... همس «أحمد»: ألقوا قنابل الدخان!

نفذ الشياطين تعليمات «أحمد» ... وفي دقائق، كان الدخان، ينتشر في الفضاء وكأنه شبورة طبيعية ... في نفس الوقت، كانت قنابل الغاز، قد انفجرت، وتسرب الغاز إلى المكان، وعن طريق الأشعة، رأى الشياطين المصفحة وهي تهتز في تقدمها ...

فعرفوا أن الغاز قد وصل إلى من في المصفحة، التي كانت تقترب ... اضطر «أحمد» أن يعود بالسيارة إلى الخلف قليلًا، ثم يندفع بها في اتجاه المصفحة، وقد ضغط زر الارتفاع، فطارت السيارة ومرت في سرعة من فوق المصفحة، حتى نزلت في الجانب الآخر ... وبنفس السرعة العالية، انطلقت في طريقها ...

قال «قيس»: أخشى أن يتم اتصال بين نقطة مراقبة العدو وبين نقط أخرى فتكون كارثة ...

رد «أحمد»: لا أظن أن هذا سوف يتم بسرعة ... فسوف يمضي وقت قبل أن يستردوا أنفاسهم ... لأن تأثير الغاز، يحتاج لبعض الوقت!

ظلت السيارة في انطلاقها ... كان النهار قد غطى كل شيء ... وبدأت الشمس ترسل أشعتها بألوانها الذهبية فوق قمم الجبال ... فكانت الطبيعة تبدو رائعة الجمال ... ولم يكن يشوهها إلا توقع الشياطين بظهور كمين للعدو، أو نقطة تفتيش له ... غير أن ذلك لم يحدث؛ فقد امتد الطريق سهلًا، هادئًا، ولكن فجأة، أضاء جهاز الاستقبال ... فقال «أحمد»: إنها رسالة من المقر السري ...

أخذ «أحمد» يتلقى الرسالة التي يستقبلها الجهاز ... وكانت رسالةً شفرية، تقول:

٤ – ١٢ – ١٦ – ١٦ «نقطة» ٨٨ – ٦٠ – ٤ «نقطة» ٨ – ٧٠ – ٩٠ – ٢٠ – ٨٨ – ٢٠ «نقطة» ٩٠ – ٢٦ «نقطة» ٨ – ١٤ – ٢٠ «نقطة» ٣٢ – ٨٨ – ٨ «نقطة» ٨ – ١٤ – ٢ «نقطة» ٣٢ – ٨٨ – ٨ «نقطة» ٨ – ٧٠ – ١٠٠ – ٨٨ – ٩٠ «نقطة» ١٠٠ – ٩٠ «نقطة» ٤ – ٧٠ – ٢٤ – ١٠٠ – ٩٠ «نقطة» ٨ – ٧٠ – ١٠ – ٣٨ – ٢٠ «نقطة» ٦٠ – ٦ – ٧٠ «نقطة» ٨ – ٥٨ – ٤ – ٧٨ – ٨ «نقطة» ٨ – ١٤ – ٢٠ «نقطة» ٣٢ – ٨٨ – ٨ «انتهى» ...

أخذ «أحمد» يترجم الرسالة بينما كانت أعين الشياطين تراقب تعبيرات وجهه ... كان الاهتمام يغطي وجه «أحمد» ... وعندما انتهى، نظر إليهم ... قال «قيس»: إن الرسالة خاصة بموعد مرور قوات العدو من فوق الجسر!

أكمل «بو عمير»: يبدو أن الزمن المحدد، يضعنا في ورطة!

ابتسم «أحمد» وقال: لا داعي أذن لأن أقول لكم نص الرسالة، فقد عرفتموه!

سكت لحظة، ثم أضاف: لقد تحددت ساعة المرور مع نهاية آخر ضوء اليوم ...

ملأت الدهشة أوجه الشياطين ... وقال «بو عمير»: اليوم!

ابتسم «أحمد» قائلًا: نعم اليوم! وهذا يعني أننا سوف نبدأ عملنا بعد ساعة أو اثنتين ...

همس «قيس»: هذه مغامرة غير مأمونة العواقب!

تساءل «أحمد»: كيف؟

رد «قيس»: إن النهار سوف يكشف عملنا!

ابتسم «أحمد» قائلًا: لا أظن أن النهار، سوف يعوق عملنا تمامًا ... فإن العمل سوف يكون أسفل الجسر ... وعند نقطة معينة فيه وهذا لن يحتاج إلى وقت طويل ...

سكت لحظة، ثم أضاف: إن ساعتين من العمل المكثف سوف تكفينا تمامًا!

وقال «بو عمير»: هذا يعني أننا لن نلتقي بقائد «وادي بانجشير»!

رد «أحمد»: يمكن أن نلقاه بعد أن ننتهي من عملنا، ويمكن ألا نلقاه إلا بعد نسف الجسر!

وغطى الصمت كل شيء ... استغرق الشياطين في تفكيرهم ... وكانت السيارة تنطلق بسرعة متوسطة ... فقد بدأ الطريق يفقد استقامته ... وأخذت الانحناءات تزداد كلما اقتربوا من منطقة الجسر ... في النهاية هتف «فهد»: ها هو!

نظر الشياطين أمامهم ... كان الجسر طويلًا، يعبر الوادي المنخفض، حيث يمر من تحته النهر ... كان مرتفعًا تمامًا ... ويبدو الوادي بعيدًا ... والنهر مستمر في جريانه ...

قال «أحمد»: هدئ من سرعة السيارة، ودعنا نرى الوادي جيدًا!

أخذت السيارة تتقدم ببطءٍ ... والشياطين يتأملون الوادي ... قال «أحمد»: إن هناك مسألة هامة، ينبغي ألا ننساها، وأعرف يقينًا أن العدو سوف يفكر فيها!

أوقف «فهد» السيارة، وبدأ شبه اجتماعٍ سريع ... قال «أحمد»: الذي أتوقعه، أن يقوم العدو بدفع مجموعة من الأغنام والرعاة، حتى يعبروا الجسر كنوع من الاطمئنان؛ فهم يعرفون يقينًا أن الجسر قد يتعرض لعملية تلغيم ... وسوف يتركون الأغنام والرعاة يمرون حتى نهاية الجسر ... فإذا لم يحدث شيء، أخذت قواتهم ومعداتهم في المرور ...

تساءل «قيس»: وما العمل؟ ...

رد «أحمد»: هذا ما يجب أن تتأكد منه تمامًا ...

سكت لحظة، ثم أضاف: إن علينا أن نحكم المتفجرات، فلا تنفجر إلا تحت ضغط، أو ثقلٍ معين، وفي هذه الحالة، فإن الأغنام والرعاة سوف يمرون في هدوء ... وعندما تبدأ المعدات في المرور، فسوف يكون ثقلها كبيرًا، بما يساوي انفجار الألغام ...

ابتسم «بو عمير» وقال: هذه نقطةٌ ذكية تمامًا ... ولو أننا لم نلتفت إليها، فربما كانت الأغنام والرعاة هم الصيد الذي لا نريده!

تأمل «أحمد» الجسر قليلًا، ثم قال: علينا أن نقترب الآن، وأن نخفي السيارة جيدًا ... سوف يكون دور «فهد» هو المراقبة ... أما «مصباح» و«بو عمير» فسوف يثبتان المتفجرات في الجانب الأيمن، وسوف أقوم أنا و«قيس» بتثبيت المتفجرات في الجانب الآخر ...

سكت لحظة ثم أضاف: وسوف نعود بعد تثبيت المتفجرات إلى حيث توجد السيارة، فنختفي داخلها، حتى تأتي ساعة الصفر ...

بدأ الشياطين يجهزون المتفجرات التي قدمها لهم عميل رقم «صفر»، قال «أحمد»: الآن ... سوف أتسلل أنا و«قيس» ... وعندما نصل إلى أسفل الجسر، يتبعنا «مصباح» و«بو عمير» ...

في لحظة، كان «أحمد» يحمل ما يحتاجه من أسلاك ومتفجرات، ثم يعبر من جانب الطريق عند بداية الجسر، ويختفي أسفله وكان معه «قيس» تعلَّقا في أسفل الجسر، وبرشاقة وصلا إلى النقطة المطلوبة ...

كان الجسر من الحديد، يقف على أعمدةٍ حديديةٍ ضخمة ووصل الاثنان إلى منتصفه، وبدأ كل منهما يثبت المتفجرات، في نفس الوقت رأى «أحمد» كلًّا من «مصباح» و«بو عمير» وهما يثبتان المتفجرات في النقط التي اتفقوا عليها ... لكن فجأة، حدث ما لم يكن في حسبانهم ...

وكادت المغامرة تفشل!

فقد ظهرت مجموعة من الأغنام، يسوقها عدد من الرعاة ... قال «أحمد» في نفسه: إن هذا يعني أن العدو يقترب ... وقد يمر الآن ... ونحن لم ننتهِ من تثبيت المتفجرات، إذا حدث هذا فسوف نخسر مغامرتنا ... وسوف ينقضُّ جنود الأعداء، على جنود التحرير الوطنيين ...

لكنه مع تفكيره، ظل يعمل بسرعة ... كان يريد أن يسبق الزمن، فكَّر مرةً أخرى: لو أنه أرسل إلى «فهد» حتى يقوم بعملٍ ما، يعطل به هذه الأغنام ... ويثير مشكلة فإنه يكسب بعض الوقت، حتى يتم تثبيت المتفجرات ...

لحظة ثم أخرج جهاز الإرسال الصغير وأرسل إلى «فهد» رسالةً شفرية، تقول: ١٠٠ – ٥٨ – ٦ – ٢٤ – ١٠٠ «نقطة» ٢٦ – ٩٠ – ٧٠ «نقطة» ٣٦ – ١٠٠ – «نقطة» ٨٨ «نقطة» ١٤ – ٧٠ – ٦٠ «نقطة» ٦٠ – ٣٦ – ٥٠ – ٧٠ – ٧٨ «نقطة» ٧٠ – ٤ – ٢٦ – ٣٠ – ١٠٠ – ٧٠ «نقطة» ٧٨ – ١٨ – ٨ «نقطة» ٨ – ٧٠ – ٦٠ – ٣٠ – ١٠٠ – ٢٦ «نقطة» ٥٨ – ١٢ – ٥٨ «نقطة» ٢٢ – ١٠٠ «نقطة» ١٢ – ٨ – ١٠ – ٧٨ «نقطة» ٧٠ – ٧٠ – ٨٨ – ٦٠ – ٤ «انتهى» ...

نظر في اتجاه «فهد»، الذي لم يكن يظهر، فقد اختبأ في مكان يصلح للمراقبة ... لكنه فجأة، رأى «فهد» ... يظهر مرةً أخرى ... كان يلبس ملابس ممزقة، ويبدو أنها ملابسه، أجرى فيها التمزيق اللازم حتى يبدو وكأنه من أهل البلاد ... اتجه «فهد» مباشرة إلى حيث يتقدم قطيع الغنم، ثم اعترض الطريق، تفرقت بعض الأغنام، لكن البعض الآخر، كان يأخذ طريقه في اتجاه الجسر؛ أسرع «فهد» إلى مقدمة القطيع، وأمسك بواحدة من الغنم، ثم مشى بها في اتجاه معاكس ... فتبعته الأغنام.

فجأة صاح أحد الرعاة: أنت يا ولد!

لكن «فهد» لم ينظر إليه ... فقد ظل في تقدمه، والغنم تتبعه بعيدًا عن الجسر ... كان «أحمد» يراقب كل شيء ... ولم يكن ما يحدث بعيدًا عنه ... أسرع الراعي إلى «فهد»، ودار بينهما حديث سمعه «أحمد» جيدًا ...

قال الراعي: ماذا تفعل؟

رد «فهد»: أقود الغنم!

سأل الراعي: إلى أين ... نحن نريد أن نعبر الجسر إلى الجانب الآخر!

رد «فهد» بسؤال: ولماذا ... إن في هذا الجانب منطقة جيدة للرعي!

قال الراعي: وما شأنك أنت؟

رد «فهد»: إنه شأني بالتأكيد ...

ثم خفض صوته، فلم يسمع «أحمد» شيئًا ... لكنه رأى الراعي وهو يبتسم، فعرف أن «فهد» قد وجد طريقة للتفاهم معه ... ثم فجأة ارتفع صوت «فهد» حتى يسمع «أحمد»، فقد كان يعرف مكانه، قال: «فهد»: هل تمر كل يوم في نفس الموعد؟

رد الراعي: نعم ...

سأل «فهد»: وهل تقوم بالرعي في الجانب الآخر من الجسر؟

ردَّ الراعي: نعم إننا نفعل ذلك يوميًّا لكن، ما دمت قد رأيت مكانًا طيبًا للرعي، فسوف نتجه إليه ... ونحن نشكر لك هذا الصنيع ...

ابتسم «فهد»، وحيَّاه، فانصرف الراعي خلف غنمه، ثم تبعه بقية الرعاة ...

ابتسم «أحمد» وقال في نفسه: لقد أجاد «فهد» في تصرفه. أخذ «أحمد» ينتقل من مكان إلى مكان أسفل الجسر في براعة، وهو يثبت المتفجرات، في نفس الوقت كان بقية الشياطين يفعلون نفس الشيء ...

فجأة، امتلأ وجه «أحمد» بالدهشة، وقال في نفسه: ماذا سوف يفعل «فهد» الآن، مع هؤلاء الجنود ...

كان ثلاثة من الجنود ... قد ظهروا من خلف الجبل ... وهم يمشون في قوة، فكَّر «أحمد»: هل يرسل رسالة إلى «فهد» ...

أم أنه سيتصرف وحده، انتظر قليلًا، تقدم الجنود من الجسر، ثم بدءوا يعبرونه ... لم يتحرك «فهد» لكنه كان يراقبهم جيدًا ... قال «أحمد» في نفسه: لو أن أحدهم رآنا، فسوف ينتهي كل شيء!

أوقف العمل، وأشار لبقية الشياطين أن يتوقفوا، حتى لا يشعر الجنود بشيءٍ ... ألقى نظرة في اتجاه «فهد» الذي أشار إليه بأن يستمروا ... انهمك الشياطين في العمل مرةً أخرى

... وكانوا ... يسمعون صوت أقدام الجنود، فوق الجسر الجديد في نفس الوقت، كان «فهد» يتحرك وهو يراقبهم.

انتهى الجنود من المرور فوق الجسر، ثم عادوا مرةً أخرى، كان «فهد» يشعر بالقلق ... كان يفكر: هل يكتفون بالمرور، أم إنهم سوف ينزلون أسفل الجسر؟

ولم يقطع برأي ... عاد الجنود مرةً أخرى ... إلى بداية الجسر ... فجأة، دقَّ قلبه بعنف، فقد سمع الحوار الذي دار بينهم:

الأول: ينبغي أن نطمئن إلى أسفل الجسر، فمن يدري، قد يكون هناك ما لم نفكر فيه ...

قال الثاني: نعم ... أوافقك!

رد الثالث: وحتى دون أن توافق ... إن هذه أوامر القائد ... وسوف تأتي فصيلة لتمرَّ فوق الجسر بعد قليل!

كانت فترة حوارهم فرصة لـ «فهد» حتى يستعد، فقد أخرج مسدسه، وثبت فيه عدة إبرٍ مخدرة ثم انتظر، قال أحد الجنود: فلينزل كلٌّ منا من جانب، ويبقى الثالث ليراقب المكان فقد نفاجأ بأحد من جنود المقاومة ...

انتظر «فهد» لحظة ... كان الشياطين يحبسون أنفاسهم وقد توقفوا عن العمل ... إن جنود العدو سوف يكتشفون وجودهم بالتأكيد ... وسوف ينتهي كل شيءٍ ... لكن «فهد» كان قد أعد نفسه جيدًا ... عندما نزل الجنديان، أطلق إبرةً مخدرة على جندي المراقبة، فسقط مغشيًّا عليه، قفز بسرعة إلى الجسر، حيث نزل الجنديان ... وبسرعة، أطلق على أقربهما إبرةً مخدرة، فسقط في النهر ... نظر الآخر له ... ثم قال: ماذا حدث، هل أفلتت يدك؟!

وقبل أن ينطق كلمةً أخرى ... كانت إبرةٌ مخدرة قد استقرت في صدره ... وفي لحظة، كان يسقط هو الآخر ... ابتسم «أحمد» وهو يرى «فهد» يتحرك برشاقةٍ وثقةٍ وبسرعة، انهمك الشياطين في عملهم ... بينما عاد «فهد» بسرعة، حيث سقط الجندي الأول، جذبه بقوة، ثم حدد مكان الصوت، كان يصدر من ملابس الجندي ... فتَّشه بسرعة فوجد جهاز لاسلكيٍّ صغير، ثم سمع صوتًا يقول: ماذا وجدتم؟

وبسرعة تصرف بذكاء ... فقد استرجع طريقة الجنود الثلاثة في الحديث، وقلدهم ... ردَّ قائلًا: كل شيء هادئ يا سيدي!

جاء الصوت يسأل: هل مررتم فوق الجسر؟

رد «فهد»: نعم يا سيدي ... مررنا فوقه من أوله إلى آخره!

قال الصوت: لا بأس ...

سكت لحظة ثم سأل: هل فتشتم أسفل الجسر؟

رد «فهد»: نعم يا سيدي، ولم نجد شيئًا!

قال الصوت: عظيم، إذن، نرسل فصيلة للمرور!

رد فهد: لا أظن أن ذلك مفيد يا سيدي، فقد اختبرنا كل شيء ... ومرور الفصيلة في وضح النهار قد يكشف مرورنا الليلي! ...

صمت الصوت هناك لحظة، ثم قال: إن المنطقة آمنه الآن، وليس فيها أحد!

رد «فهد»: لقد قابلنا بعض الرعاة يا سيدي، ومن الممكن أن ينقلوا أخبارنا إلى العدو!

صمت صوت القائد قليلًا ثم قال: لا بأس إذن، ما دمتم قد فتشتم المكان جيدًا ...

قال «فهد» بسرعة: أقترح يا سيدي أن نبقى في حراسة الجسر، لمزيد من الأمان!

جاء الصوت بعد قليل يقول: لا بأس ... وهذا ما فكرت فيه ...

صمت لحظة ثم قال: سوف أرسل إليكم بعض الجنود، ليكونوا معكم في المراقبة ...

دهش «فهد» لكنه قال بسرعة: لا بأس يا سيدي!

وتوقف الحديث ... فكَّر «فهد» لحظة: هل ستكون مجموعة كبيرة لا يستطيع أن يتصدى لها؟!

وحتى لا يضيع الوقت أرسل إلى «أحمد» رسالةً شفرية بما حدث ... ثم انتظر ... مرت دقائق ثم جاءته ... رسالةٌ شفرية من «أحمد» تقول: ٨ – ٩٠ – ٨ – ٩٠ – ٥٨ – ٨ «نقطة» ٥٨ – ٣٤ – ٢٢ «نقطة» ٣٨ – ٨ – ٢٦ – ٧٨ «نقطة» ٤ – ٣٤ – ٢٠ – ٢٢ «نقطة» ٨ – ٥٨ – ٢ «انتهى» ...

ترجم «فهد» الرسالة، ثم قال في نفسه: لا بأس ... سوف يتم كل شيء كما نريد ...

أسرع يقترب من الطريق المتجه إلى الجسر فكر لحظة: إنهم سوف يبحثون عن زملائهم ... وسوف تكون هذه كارثة ...

انتظر قليلًا ثم همس لنفسه: لا تسبق الحوادث ... ربما يأتي عدد قليل، وتستطيع التخلص منه! ...

كان ينظر في كل اتجاه، حتى لا يفاجأ بظهور الجنود ... كانت الشمس قد انحدرت من الشرق إلى الغرب ... فقال في نفسه: إن ساعة الصفر قد اقتربت ...

ابتسم وقال في نفسه: لو أن الشمس تسرع إلى الغرب أكثر ...

كانت مجرد أمنية لأنه يعرف أن الشمس لا تغير سرعتها ... لحظة ثم ابتسم ... وهمس لنفسه: لا بأس ... إنه عدد معقول!

كان ثلاثة من الجنود يقتربون، وقد حمل كلٌّ منهم سلاحه ... فكر لحظة: هل أرسل إليهم بعض قنابل الغاز؟

ردَّ على تفكيره: إن ذلك سوف يستدعي آخرون، يرون ما حدث لزملائهم ...

انتظر قليلًا، ثم قال لنفسه مبتسمًا: إن الإبر المخدرة فيها الكفاية ... فهي تعطي نتيجة سريعة، بلا صوت! ...

اقترب الجنود أكثر ... وأصبحوا على مرمى طلقة المسدس؛ جهز مسدسه، ووضع فيه إبرةً مخدرة ثم أحكم الهدف، وضغط الزناد، مرت لحظة، ثم أمسك الجندي ذراعه، وسقط على الأرض، وقف الآخران في فزع ... قال الأول: ماذا حدث له؟!

جلس الاثنان حوله يحاولان إفاقته ... ابتسم «فهد» وقال: هذه فرصة نادرة!

أحكم الهدف مرةً أخرى، ثم أطلق إبرةً مخدرة ... لحظة ثم نام الثاني بجوار الأول ... وقف الأخير في فزع ينظر حوله، وهو يقول: ماذا يحدث؟!

كان «فهد» يبتسم، وهو يقول: إنها فرصة أخرى نادرة!

أطلق إبرةً مخدرة على الجندي الأخير، فسقط هو الآخر بجوار زميلَيه ... ولم يُضع وقتًا ... أسرع إليهم ... وحملهم الواحد بعد الآخر، إلى مكانٍ خفي ... فجأة جاءته رسالة من «أحمد» تقول: لقد انتهينا؛ راقب الطريق جيدًا.

وقف «فهد» يغطي الطريق بعينَيه لم يكن هناك شيء ... تسلل «أحمد» و«قيس» و«بو عمير» و«مصباح» في رشاقة وسرعة ... وانضموا إليه ...

قال «أحمد»: أهنئك على تصرفك ...

ابتسم وهو يقول: لديَّ مفاجأةٌ أخرى لكم ... هدية لا تحلمون بها!

ظهرت الدهشة على وجوههم، فصحبهم إلى حيث يرقد جنود العدو ... همس «مصباح»: ما هذا؟!

أجاب «فهد» مبتسمًا: إنه صيد اليوم!

قال «أحمد»: لقد قمتَ بعملٍ عظيم، ولولاك، لكانت المغامرة قد فشلت ... وكنا نحن في عالم آخر!

سكت لحظة، ثم قال: هيا بنا نرقب اللحظة الأخيرة ...

عاد الشياطين إلى حيث يظهر الجسر أمامهم ... كانت الشمس قد أخذت طريقها إلى الغروب ... وبدأت أشعتها تنسحب من الوجود ... ظل الشياطين في حالة مراقبة ... كان القلق يستبد بهم ... لكن الغروب الذي غطى الكون، جعلهم يهدءون قليلًا ...

أخذ الظلام يزحف حتى أصبحت الجبال سوداء اللون ... فجأةً، سمعوا أصوات عجلات ... فهمس «قيس»: إنهم في الطريق!

كان الشياطين قد ثبتوا المتفجرات في الثلث الأخير من الجسر، حتى يمكن أن يوقعوا خسارةً ضخمة بقوات العدو ... ارتفع الصوت أكثر ... وكان هذا يعني ... أنهم يقتربون ... ثم فجأة ظهرت مقدمة قوات العدو ... وبدأت تدخل الجسر، أمسك «أحمد» جهاز التفجير ... ووضع يده على الزر الخاص به ... إن ضغطةً واحدة فوق الزر، تجعل الجسر جحيمًا ... ظلوا يراقبون تقدم القوات، وعندما وصلت إلى منطقة المتفجرات ضغط «أحمد» جهاز التفجير، فتردد في المكان صوت الانفجار قويًّا، وكأن الدنيا تكاد تنهدُّ ... وشاهد الشياطين، قوات العدو وهي تتساقط في الوادي، إلى النهر ... ثم توالت الانفجارات وأصبح الظلام، وكأنه النهار ...

أرسل «أحمد» رسالةً سريعة إلى رقم «صفر» الذي ردَّ يهنئهم، ويطلب منهم العودة فورًا ... فهناك مغامرةٌ جديدةٌ سريعة ...

ابتسم الشياطين ...

وقال «مصباح»: هذه هدية عظيمة من الزعيم!

أسرعوا إلى سيارتهم وانطلقوا بها يشقون الليل، إلى مغامرةٍ جديدةٍ أخرى ...

هنـــداوي